(211) بقوله: (وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً) (1) . فالآية تكلّف النبي أن لا يدافع عن الخائن، ومن الواضح أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن في زمن حياته مدافعاً عن الخائن، وانّما هو خطاب عام أُريد منه تربية المجتمع وتوجيهه إلى هذه الوظيفة الخطيرة، وبما أنّ أكثر الناس لا يتحمّلون الخطاب الحاد، بل يكون مرّاً في أذواق أكثرهم، اقتضت الحكمة أن يكون المخاطب، غير من قصد له الخطاب. 7. وعلى ذلك يحمل قوله سبحانه: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِلْخائِنِينَ خَصِيماً)(2) وأخيراً نقول: إنّ سورة الاِسراء تحتوي على دساتير رفيعة المستوى، ترجع إلى وظائف الاَُمّة: الفردية والاجتماعية، وهو سبحانه يبتدىَ الدساتير بقوله: (لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْموماً مَخْذُولا) (3)، وفي الوقت نفسه يختمها بنفس تلك الآية باختلاف يسير فيقول: (ولا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً). (4) فهذه الخطابات وأشباهها وإن كانت موجهة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن قصد بها عامة الناس لنكتة سبق ذكرها، وإلاّ فالنبي الاَعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أعظم من أن يشرك بالله تعالى بعد تشرّفه بالنبوّة، كيف، وهو الذي كافح الوثنية منذ نعومة أظفاره إلى أن بعث نبيّاً لهدم الشرك وعبادة غير الله تبارك وتعالى. _____ 1 . النساء: 107. 2 . النساء: 105. 3 . الاِسراء: 22. 4 . الاِسراء: 39.